هـــل لليهود فن ؟

رد على رد

للدكتور أحمد موسى

[جاء بالعدد رقم ٩٣ من مجلة الثقافة مقال بعنوان « هل لليهود فن » قرر فيه الدكتور زكي محمد حسن مبدأين خطيرين كانا سببا في اختياري ، وهما (أولا) أن اليهود لم يعرضوا الفنون الجميلة أبداً . و(ثانياً) أن اليهود تركوا أدباً وديناً أثروا بهما أثراً لا يقل عن أثر الاغريق في الحضارة الانسانية . وقد تبنا الزعم الأول في استفهام أرسلناه إلى مجلة الثقافة ونشر بالعدد رقم ٩٩ مزوداً بمصادر علمية ، وطلبنا إلى الدكتور زكي أن يدعم الزعم الثاني بالأدلة ؛ لأننا اعتبرناه فتحاً جديداً في العلم يحتاج إلى البحث والفحص وذكر المصادر

وقد رد الدكتور على استفهامنا رداً نشرته مجلة الثقافة بالعدد ١٠٠ لم يكن مقنعاً — والقارىء يستطيع أن يكون لنفسه فكرة عامة عن المقال الأول ومن الحوار العلمي الذي دار حول هذا الموضوع الخطير ، بقراءة هذا الرد] . (أ . م)

نشرت لي مجلة « الثقافة » استفهاماً بالعدد ٩٩ ونشرت للدكتور زكي محمد حسن رده على استفهامي بالعدد ١٠٠ وها هي مجلة « الرسالة » تفسح الصدر لنشر ردي على رده

والدكتور زكي مؤلف وكاتب معروف ، ولا ينتظر من قراء مقالاته أن يهملوا ما يكتب ، فنشكره ونعتذر إليه عن العودة إلى الكتابة لأن رده لم يكن مقنعاً

فمن رده على استفهامنا تؤخذ المسائل الآتية حسب ما ورد في مقاله بالعدد ١٠٠ في مجلة « الثقافة » :

١ — أن الأركيولوجيا أو علم الآثار تعنى بدراسة المخلفات كلها وتدرس حياة الشعوب وطرق معيشتها ، وهي مرجعنا الوحيد في دراسة مدنيات الأمم التي اندثرت بدون أن تصل إلينا وثائق مكتوبة عنها (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٢ — إن تاريخ الفن هو دراسة التحف التي صنعها الإنسان مراعياً فيها إلى حد ما شيئاً من مبادئ الجمال ، وهو لا يعنى إلا بالتحف والآثار ذات القيمة الفنية (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٣ — أنه إذا كان في كتب الآثار الموضوعة عن شعب من الشعوب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فإن هذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٤ — أن الدكتور زكي يرجع أننا لسنا على حق في حسبان بنسنجر Benzinger من بني إسرائيل ، لأنه كان مدرساً في كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن (ص ٢٥ العمود الأيسر)

٥ — إن المراجع والكتب في تاريخ الفن تتحدث عن الطرز الفنية طرزاً طرزاً ، ولكن (مستفهم) لن يجد بين صفحاتها فصلاً أو بعض فصل عقد للكلام عن فن ينسب لليهود (ص ٢٦ العمود الأيمن)

٦ — يأبى (مستفهم) أن يصدق أن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق ، ويقول إن هذا فتح جديد في العلم يحتاج لتصديقه والإيمان به إلى البحث والفحص وذكر المصادر ، ويدعو (مستفهم) إلى دراسة العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، وقراءة سير كبار العلماء والمفكرين اليهود واستعراض صلة اليهودية بحركة الإصلاح الديني في أوربا ، وتبين أثر اليهود في القوانين الغربية ؛ حتى أرى بذلك أن أثر اليهود في الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق (ص ٢٦ العمود الأيسر)

٧ — إن أثر الإغريق في الحضارة الإنسانية وأثر اليهود فيها مسألة اعتبارية ونسبية (ص ٢٦ العمود الأيسر)

وردنا على هذه المسائل ما يأتي :

١ — لم تعن الأركيولوجيا بدراسة المخلفات كلها وحياة الشعوب وطرق معيشتها إلا في عصر ديونيزيوس الهاليكرناسي Dionysius of Halikarnass (٣١ ق . م) . الذي ذهب إلى روما وألف كتاباً في عشرين جزءاً لم يبق منها إلا نصفها تقريباً عن أركيولوجية روما Archaologia Romana ، تناول فيه حياة الشعب وطرق معيشته وعاداته وفنونه ، وعصر يوسيفوس اليهودي Josephus المولود في أورشليم عام ٣٧ بعد الميلاد الذي ألف كتاب الأركيولوجيا اليهودية Archaologia Judaica في عشرين جزءاً ذكر فيها كل ما يتعلق ببني جنسه وأحوالهم وعاداتهم وفنونهم من أقدم العصور إلى آخر أيام نيرون

وقصد بالأركيولوجيا في عصر إحياء العلوم والآداب والفنون :

(ا) تفسير المخلفات الأثرية القديمة وتقدير الدرجة الفنية

التى بلغتها ليدرك الناس ماهية الآثار والفنون ، كما كان الحال عند « الإنسانيين » Humanen ، عندما تناولوا التراث الأدبى القديم Humaniore لتحويله إلى دراسات عامة بعد أن كان من شأن الخاصة[1] .

(ب) وتأريخ المخلفات التى يرجع عهدها إلى المرحلة الزمنية المحصورة بين عامى ١٥٠٠ر١٧٥٠ من مبان وتماثيل ونقوش

واتخذت الأركيولوجيا اتجاهاً جديداً بعد ظهور كتاب أوتفريد مولر (١٧١٧ — ١٧٦٨) عن أركيولوجية الفن[2] . وكتب غيره من العلماء والأدباء والباحثين فى الفنون فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى والشرق ، وبذا تم تأسيس معهد الدراسات الأركيولوجية فى برلين سنة ١٨٢٨ ، فاستقلت الأركيولوجيا علماً قائماً بذاته بفضل فنكلمان[3]

وفى آخر القرن الثامن عشر عنى بنجهام الإنجليزى بوضع كتاب « أركيولوجية المكنائس » فى عشرة أجزاء[4] ، طبع لندن سنة ١٧١٠ — ١٧٢٢ ، كما عنى أوجستى الألمانى بوضع كتاب آخر فى اثنى عشر جزءاً[5] ، طبع ليبتسج فى نفس الفترة الزمنية

وظاهر مما تقدم أن الأركيولوجيا تطورت تخصيصاً ؛ فأصبحت لا تعنى بالمخلفات كلها ، أو حياة الشعوب وطرق معيشتها ، ولم تعد المرجع الوحيد فى درس الحضارات البائدة ، إذ لا بد من الاستعانة بعلوم أخرى لإكمال هذا الدرس ، كعلم تطور القشرة الأرضية Geologie وعلم الجماجم والعظام البشرية Anthropologie وعلم الأجناس وسلالاتها Ethnologie وعلم المسكوكات والدراهم Numismatik

٢ — أما قصر تأريخ الفن على دراسة التحف التى صنعها الإنسان « مراعياً إلى حد ما شيئاً من مبادئ الجمال » ؛ فقد يبدو براقاً وإن يكن غير صحيح ؛ والصحيح أن درس كل إنتاج فنى من اختصاص تأريخ الفن بغير حساب للجمال ، لأن مجرد نسبة هذا الإنتاج للجمال ، تقلل من قيمته الفنية لاختلاف الآراء فى الجمال فى كل زمان ومكان

يعنى تأريخ الفن بالفكرة Idée واتصالها بالطبيعة صلة إلهام (البرشت دورر)[1] وتناولها وسيلة الإنتاج الفنى (المسلك) وبها تقدر كفايته ، وعلى هذا الرأى فى الفن الأديب الأشهر جوتهولد ليسنج[2]

وجعل العلامة فنكلمان (٣) التناسب أساس الفن ، ووصف الجمال بأنه المثل الأعلى ، متبعاً فى رأيه خطوات أوجستين (٣٥٤ — ٤٣٠) non mole constat, sed paralitate ac dimensione membrosum

٣ — « إذا كان فى كتب الآثار الموضوعة عن شعب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فهذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم » ؛ فهذا مردود عليه باستحالة جهود شعب عن ممارسة فن يُنتجَ ويُخرَجَ ويُبرز فى وطنه ! على أن الجائز هو أنه لا يشترط حتماً أن يكون الفن المزدهر فى بلد ما خالصاً لأبنائه دون أثر أجنبى فيه

٤ — وترجيح صديق الأستاذ الدكتور زكى حسن أن بنسنجر ليس من اليهود ، لأنه كان مدرساً فى كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن مخالف للواقع ؛ فإنه ولد فى شتوتجارت وتخرج فى جامعتها وجامعة توبنجن ودرّس لاهوت التوراة ببرلين إلى سنة ١٩٠١ ، ثم صار نائباً لقنصل هولاندا فى أورشليم إلى سنة ١٩١٢ ثم ندب لتدريس اللغات السامية فى جامعة تورنتو إلى سنة ١٩١٤ ، فأستاذاً لآداب التوراة فى مدفيل Meadville إلى نهاية الحرب الماضية . أما مؤلفاته فكتاب الآثار العبرانية[3] وشرح أسفار الملوك[4] ، وتاريخ بنى إسرائيل[5] ، وفضل اليهود فى ابتداء التشريع[6] ، ويافث ، وإلوه[7] ودليل

(١) G. Voigt, Die Wiederbelebung des klassichen Alter tums, Berlin 1893.

(٢) Ottfried Müller, Handbuch der Archäologie der Kunst, Breslau 1830.

(٣) Justi, Johann J. Winckelmann; sein Leben, seine Werke und seine Zeitgenossen, 3 Bde. Leipzig.

(٤) Bengham, The antiquities of the Christian Church, London 1710-22.

(٥) Augusti, Denkwürdigkeiten aus der christlichen Archäologie, Leipzig 1817.

(١) Die Kunst steckt wahrhaftig in der Natur, wer sie heraus kann reissen; der hat sie. Albrecht Dürer (1471-1582)

(٢) Gotthold Lessing, Hamburgische Dermaturgie, Stück 70 (1 Jan. 1768).

(٣) Hebräische Archäologie

(٤) Commentar zu den Königsbüchern

(٥) Commentar zu der Chronik; Geschichte Israels.

(٦) Wie würden die Juden das Volk des Gesetzes ?

(٧) Jahvist und Elohist in den Königsbüchern.

« بيدكر » عن فلسطين وسوريا سنة ١٩١٢[١] كل ذلك مما يؤيد أن بتقسنجر يهودى

٥ — لم تخل كتب تاريخ الفن من صفحات وفصول عقدت للكلام على فن ينسب لليهود ، وإليك يا صديقى ثلاثة منها :

(ا) طرز الزخرفة ، تأليف شپلتس ، صفحات ٣٩ ـ ٤١ ولوحة رقم ١٤[٢]

(ب) الفن القديم تأليف لوبكه ـ پرنيس ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٥[٣]

(ح) أسس تاريخ الفن ، تأليف لوبكه ، الجزء الأول من صفحة ٥٨ إلى ٦٧[٤]

وهذه الكتب الثلاثة قليلة بالنسبة إلى كتب أخرى عالجت تاريخ الفنون عامة وألمت بتاريخ الفن اليهودى

٦ — أما قول الدكتور الفاضل بأن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق فلا يوافقه عليه أحد ، على حين يوافقنى على نقيضه الكثرة الغالبة من العلماء والمؤرخين حتى من اليهود أنفسهم . وأقرر بأن اليهود تأثروا بالعرب فى مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ، ونقلوا عنهم . وكان الفضل فيما وصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التى اشتغل العرب بترجمتها

قال ابن ميمون (١١٨٥ — ١٢٠٤) فى كتابه « مرشد الحائرين[٥] » أن ما اقتبسه اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب الذين استفادوا من حكمة الإغريق

أما ما كتبه العالم اليهودى الألمانى « مونك » فى كتابه « مزيج من الفلسفة العربية واليهودية[٦] » ؛ فهو يؤيد فضل العرب على اليهود ، كما يقرر بأنه لم يكن لبنى إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون

ولا نحب فى هذا المجال أن ننقص من فضل « باروخ شبيتوزا » الفيلسوف الهولاندى المتوفى سنة ١٦٧٧ المنسوب إلى اليهود ، وإن كان التنويه بذكره لا يكسب بنى جنسه شيئاً فيما نحن بصدده ، لأنه كان مغضوباً عليه ومحروماً من دخول المعبد لإلحاده ولمذهبه فى وحدة الوجود[١]

هاتان شهادتان ليهوديين من كبار رجالهم لم يزعما قط أن أدب اليهود أو حكمتهم دنت من حكمة الإغريق أو أدبهم ، ولم يدعيا أنه كان لأدب اليهود ودينهم أثر فى تاريخ الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق

أما ما استند إليه الأستاذ وهو درس العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام فهذا ما لا دخل له فى موضوع الحضارة من حيث هى إنتاج إنسانى قائم بذاته ؛ إذ أن العقائد فى جوهرها تمس الباطن ، كما تمس الحضارة من حيث الحالة النفسية للمتعبد ، ودرس الحالة النفسية من اختصاص علم النفس ، وهو فرع من البحوث الإنسانية التى لا دخل لليهود فيها . وإن اتفاق الإسلام واليهودية فى بعض التعاليم والآداب كالختان والصوم والطهارة من الجنابة ... الخ ؛ فهذه أمور كان التشابه فيها لتشابه ولتسلسل الشعبين من الجنس السامى ، مع اختلافهما الجوهرى فى العقلية والنظر إلى الحياة والمثل العليا ، ولا إخال صديقى يرمى إلى إثبات محاولة انتحال الإسلام عن اليهودية

والإصلاح الدينى عند المسيحيين وهو أبرز ما فى تاريخهم الكنسى قام به رجل ألمانى اسمه مارتن لوتر ، وآخر سويسرى اسمه كلفن ، وثالث من أهل سانت جال بسويسرا اسمه تسوينجلى Zwingli ، وليس واحد من هؤلاء من اليهود .

وحتى حركة حرية الفكر التى ظهرت فى أوربا قبل الثورة الفرنسية فهى لرجال أمثال فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو ، وفى انجلترا أمثال دودويل وتيندل وكوليتر وكلهم كما يعرف الأستاذ مسيحيون لا علاقة لهم باليهود .

(١) Baedekers, Palestine und Syrien, Leipzig 1912

(٢) A. Spaltz, Der Ornamentstil, Leipzig 1912, Seite 39-41 u. Tafel 14.

(٣) Lübke-Pernice, Die Kunst des Altertums, Esslingen 1914, Bd. 1 Seit 105.

(٤) Lübke, Grundriss der Kunst geschichte, Stuttgart 1887, Seite 58-67

(٥) Moses ben Maimonides, Le Guide des égarés. 1-3 Paris 1865-66

(٦) S. Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe renfermant des notices sur les principaux philosophes arabes et une esquisse historique de la philosophie chze les Juifs. Paris 1859.

(١) Freudenthal: Spinoza, sein Leben und seine Lehre, Stuttgart 1904

وإن كان لليهود أثر ملحوظ في الدنيا الجديدة فهذا الأثر محصور في الأعمال المالية والتجارية ، وهي مع قيمتها الاقتصادية لا تمت بصلة إلى الأدب أو الفلسفة أو الفن كما يمت أدب الإغريق وفلسفة الإغريق وفن الإغريق .

ولعلي لم أدرك تماماً قصد الدكتور من علاقة القوانين الغربية باليهود ؛ فغير خاف أن القوانين في انجلترا مأخوذة في أول أمرها من العرف الذي تواضع عليه الناس هناك ، وفي الدول اللاتينية أخذ في لبه عن القانون الروماني . أما في العصر الحديث فهو عن الثورة الفرنسية والقانون الألماني . وقانون روسيا لا يخرج عن التشريع الشيوعي . وفي البلاد الإسلامية عن الشريعة المحمدية وعن بعض الدول الأوربية كقانون بونابرت .

على أن هذا لا يمنع من أن نذكر أن لليهود أثراً في التشريع الخاص بهم حيثما وجدوا ، فيما يتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنسب .. الخ وطهارة المآكل وصحة الذبح ، غير ما جاء في التوراة بسفر الخروج وأخبار الملوك .

وكتاب « تراث بني إسرائيل » مكتوب في عصرنا هذا لتمجيد اليهود ، فلم يكن إلا نوعاً من الدعاية لقضية معينة ؛ فكانت المبالغة فيه ظاهرة واضحة لمن يتعمق في درسه .

٧ — أما أن أثر الإغريق وأثر اليهود مسألة اعتبارية ونسبية فهذا يخرج بنا عن حدود المقارنة العلمية التي يقوم الحكم فيها على الحالة الذاتية للشيء وليس على الحالة النفسية للباحث .

وخلاصة ما تقدم :

١ — أن الأركيولوجيا لا تفسر وحدها الماضي بما خلفه ، وليست مرجعنا الوحيد في دراسة مدنيات الأمم التي اندثرت

٢ — أن تاريخ الفن لا يعنى بتوافر شيء من مبادئ الجمال في الخلق الفني

٣ — أن من المستحيل جمود شعب يزدهر الفن بين أفراده دون اشتراكه ، كما أنه من المستحيل أن يوجد شعب له أثر ملحوظ في الأدب والفلسفة والعلم ولا يعرض للفنون الجميلة أبداً

٤ — أن بنتسجر كان من اليهود حقاً وصدقاً

٥ — أن مراجع كتب تاريخ الفن لا تخلو من فصل أو فصول عقدت لتاريخ الفن عند اليهود

٦ — أن أثر اليهود بدينهم وأدبهم لا يدنو من أثر الإغريق في الحضارة الإنسانية

٧ — عند المقارنة والموازنة — بين حضارتين — لا يكون للاعتبارية والنسبية المقام الأول في البحث العلمي

ولما كان الاتجاه الذي رغب الأستاذ زكي محمد حسن إلباسه ثوب الحقيقة العلمية ، وهو الإقرار لليهود بفضل التأثير في الحضارة الإنسانية بما لا يقل عن فضل الإغريق بأدبهم وحكمتهم وعلومهم وفنونهم يُعد من أشد الاتجاهات العلمية خطورة ، ولا يجوز لباحث مثلي ومثله إبقاءه على هذه الحالة من الإيجاز والغموض ؛ فقد سحت عزيمة كاتب هذه السطور خدمة للعلم، على إفراد فصل قائم بذاته لتصفية هذه المسألة عندما يحين الوقت إن شاء الله .

أحمد موسى

إعلان

تعلن مصلحة الأموال المقررة فقد دفتر القسائم البيضاء رقم ١١٢ (أموال مقررة من رقم ١٣٨٧٤١ إلى ١٣٨٧٥٠ وقد اعتبرت للصلحة هذه القسائم لاغية . فكل من حاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية . ٨٠٢٩

إدارة البلديات

تطرح بلدية المنصورة في المزايدة العامة بيع براميل صاج فوارغ وصاج خردة موجودة بمخازن البلدية وتحدد ظهر ١٥ مايو سنة ١٩٤١ آخر موعد لقبول العطاءات بالبلدية وتطلب الشروط منها نظير ١٠٠ مليم ٨٠٤١